أغرب من الخيال

راجي عنايت

معنى الأحلام

وغرائب أخرى



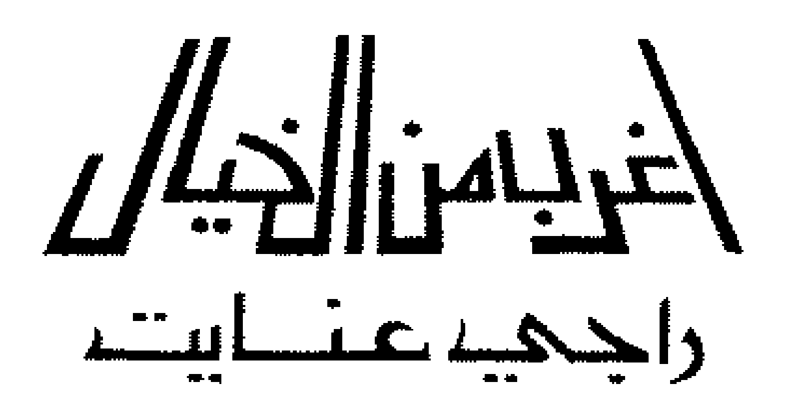
معنى الأحلام

وغرائب أخرى

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

© دار الشروق
أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٢
فاكس ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس 93091 SHROK UN
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
فاكس ٨١٧٥٥٥ - تلكس SHOROK 20175 LE



معنى الأحلام

وغرائب أخرى

دار الشروق

معنى
الأحلام

معنى الأحلام

أن تحلم . . فهذا شيء طبيعي يمارسه كل البشر . وقد ساد يومًا الاعتقاد بأن خبرة الأحلام لا يمر بها كل الناس . وأن الذين يحلمون يفعلون ذلك في بعض الليالي فقط . وفي عام ١٩٥٣ اكتشف العالمان اسيرينسكي وكلايتمان . العلاقة بين حركة العين السريعة تحت الجفون المغلقة أثناء النوم ، وبين الأحلام . وهكذا أثبتا أن كل إنسان يحلم . كلما نام .

والإنسان عندما يحلم يمكن أن يجلب شيئًا له قيمته بالنسبة لمجتمعه . فالحالم المبدع لا يرجع من حلمه صفر اليدين . إنه يسعى جادًا إلى اكتشاف عالم أحلامه ، ليعود منه بأغنية أو رقصة أو علاج ، أو بمعلومات بعيدة في زمانها ومكانها ، أو بفكرة جديدة من أي نوع .

لقد نظر فرويد العالم النفسى الشهير ، إلى الأحلام باعتبارها من الأشكال المشوشة للنشاط العقلى ، يمكن التعرف عن طريقها على طبيعة المرض النفسى أو العقلى . لكن يونج رأى الحلم كتعبير طبيعى تلقائى خلاق عن اللاشعور .

وتاريخ البشر ، قديماً وحديثًا ، حافل بالأحلام ذات المعنى والدلالة والفائدة . . والأمثلة على ذلك عديدة . .

مذبحة شارون تيت

فى عام ١٩٦٩ ، رأت السيدة إلين فى منامها بمجموعة من الناس يجتمعون فيما يشبه الحفلة . واكتشفت أنها تتابع ما يحدث فى هذه الحفلة ، وهى قابعة وسط الأشجار الكثيفة القريبة . من الواضح أن المجموعة كانت تحتفل بمناسبة ما . . بدت نساء هذه الحفلة فى نظر إلين كمجموعة من المرشدات ، أى فتيات الحركة الكشفية .

فجأة . . اقتحم المكان بعض الناس . لا تعرف من أين أتوا ، وبدءوا فى قتل المرشدات ! . . كان القتلة يرتدون الملابس السوداء ، وشعورهم مهوشة منكوشة .

خلال الحلم ، أحست السيدة إلين بخوف خاص من عينى قائد مجموعة القتلة ، الذى تبينت ملامحه بشكل دقيق أثناء الحلم .

عندما استيقظت إلين ، كانت منزعجة ، ووصفت لزوجها المشهد المرعب ، وكيف أنها رأت الدماء تسيل من جروح الضحايا .

بعد عشرة أيام من ذلك الحلم ، هزت أمريكا أخبار مذبحة الممثلة الشهيرة شارون تيت . وبمجرد أن رأت السيدة إلين فى الصحف صورة قائد القتلة شارلز مانسون . تعرفت عليه ، باعتباره الرجل صاحب العينين المخيفتين . الذى رأته فى حلمها .

رصيف قطار طوكيو

والنبوءة التى قد تحملها بعض الأحلام ، قد يمضى عليها وقت طويل قبل أن تتحقق .

ولنأخذ حال السيد جيمس مثالاً على ذلك . السيد جيمس يبلغ من العمر ٥٢ سنة ، عمل فى مجال النشر والدعاية بنيويورك لمدة عشر سنوات ، وقبل ذلك كان يدير مشروعًا لإصلاح التحف القديمة ، بالشاطئ الغربى لأمريكا .

مر جيمس بعديد من خبرات الأحلام غير العادية على مدى السنين ، فبدأ يسجل هذه الأحلام كتابة ، على أمل أن يتصادف تحقق بعضها .

فى أحد هذه الأحلام ، كان يركب قطارًا . عندما اقترب القطار من المدينة التى يقصدها ، هبطوا إلى نفق تحت الأرض ، ثم توقف القطار عند رصيف طويل بشكل ملفت . خرج جيمس من القطار ، وسار ضمن زحام الركاب الذين كانوا بالقطار . رأى على مسافة قصيرة درجًا

صاعدًا ، وعندما وصل إلى الدرج رأى فى نهايته ضوءًا قادمًا من خارج المحطة . صعد الدرج ، فرأى أمامه رصيفًا آخر بمظلة يمتد إلى مسافة طويلة ، وشاهد عددًا كبيرًا من قضبان السكك الحديدية ، على جانبى هذا الرصيف العلوى .

رأى فى حلمه مدينة كبرى تمتد إلى يمين الأفق ، ولكن إلى اليسار كان الخراب يبدو شاملاً . . لا شىء سوى أكوام من الحطام والركام .

أفاق جيمس من حلمه ، وسجل تفاصيل ذلك الحلم كتابة .

وبعد سنة ، فى سبتمبر ١٩٤٢ ، التحق بالخدمة العسكرية ، وخدم فى غينيا الجديدة بالفلبين ، ثم فى اليابان التى وصل إليها فى سبتمبر ١٩٤٥ ، وكان معسكره فى موقع بالقرب من مدينة صغيرة ، على بعد حوالى ٤٥ كيلو متر ، إلى الجنوب من طوكيو .

وفى إحدى عطلات نهاية الأسبوع ، حصل على تصريح بالخروج ، فقرر أن يركب القطار إلى طوكيو ، عندما

اقترب القطار من طوكيو ، هبط إلى نفق تحت الأرض . وتوقف عند رصيف طويل للغاية اندس جيمس وسط زحام الركاب ، وسار معهم ، حتى وجدهم يصعدون درجًا . . فغلبه إحساس شامل بأن هذا الذى يمضى فيه قد رآه من قبل . . وتضاعف هذا الإحساس وهو يصعد الدرج .

وعندما وصل إلى الرصيف ذى المظلة ، تذكر حلمه القديم بكل تفاصيله . على يمينه كان الجانب السليم من مبانى مدينة طوكيو ، وعلى يساره كانت حصيلة عدة شهور من قذف المدينة بالقنابل الأمريكية ، والتى كانت تستهدف الجانب الصناعى من طوكيو .

من الذى فى النعش ؟! .

وهناك فئة من الأحلام ذات الدلالة ، يمكن أن نطلق عليها فئة أحلام التحذير والإنذار ، وهى تتيح لصاحب الحلم أن يتهيأ لحدث مؤلم ، حتى يكون أقدر على تحمله .

رأت السيدة مـارى فى حلمها ليلة ١٢ يوليو ١٩٥٢ . نعشا فى قـاعة دار العزاء الخاصة بـالمدينة ، ولاحظت تغيرًا فى ترتيب نظام الأثاث بها ، بالنسبة للوضع الذى كان باقيًا على حالـه منذ زمن بعيد . ففـى الحلم نقلت الأريكة التى كـانت دائمًا مـوضـوعـة فى مـواجهـة النعش ، إلى الجانب الأيمن فيـه . . ورأت معلمتها المسنـة التى كانت تعطيهـا دروس الأحد تدخل إلى القاعة .

كانت مارى تجلس وسط الأريكة . فمضت المعلمة إلى بقعة خالية إلى اليسار فى مواجهتها ، ثم جاءت وجلست على يمينهـا . وضعت المعلمة ذراعهـا حول كتف السيـدة مـارى ، وقـالت « كم أنـا آسفـة لـك . . لا أعلم مـاذا أفعل؟» . وفى هذه اللحظة ، شاهـدت السيدة مارى باقة زهور ، يتوسطها صليب من زهر الزنبق الأبيض .

عندما عادت مارى لترى نفس الحلم فى الليلة التالية ، أخبرت زوجهـا بتفـاصيل الحلم . وكـانـا فى ذلك الـوقت يقيمان فى مدينـة أخرى غير مـدينتهما لبضعة أيـام . قالت

لـزوجهـا إنها تخشى أن يكـون قـد حـدث شيء لحفيد معلمتها ، الذى كـان مريضًا بشدة عندمـا غادرا مدينتهما للقيـام بهذه الرحلـة . فكتبت خطـابـا عـامًا لمعلمتهـا . تفصح لها فيـه كم هى تعـانى بـالنسبة لها ، وللكنيسـة . وللمدينة .

عنـدمـا وصلت مـارى إلى بيتهـا ، وجـدت أن حفيـد مدرستها فى صحة جيدة ، ومن ثم أهملت التفكير فى ذلك الحلم المتكرر .

وفى شهــر سبتمبر ١٩٥٢ ، تحول حلـم مـارى ، إلى حقيقة موجعة .

لقد وجدت نفسهـا فى قاعة دار العزاء بـالمدينة ، وكان موضع الاثاث متغيرا ، على نفس التغيير الذى شاهدته فى حلمها . وكانـت باقة الزهور مطـابقة لما فى الحلم ، بما فى ذلك صليب زهور الزنبق البيضاء .

لكن الـذى كــان داخل النعش فى الــواقـع ، هـو زوجها ! . كان قد مـات فجأة فى أعقاب أزمة قلبية . ثم

أقبلت معلمتها القديمة ، وجلست جوارها تحاول أن تواسيها ، قائلة نفس الكلمات التى سمعتها منها فى الحلم ، قبل ذلك بشهرين ! .

الفصل الجماعي من العمل

من بين أحلام التحذير ، ما حدث للسيدة ساندى . والتى كانت تقوم بعمل كتابى فى شركة يتصل نشاطها ببورصة الأوراق المالية فى نيويورك .

حلمت ذات يوم أنه قد جرى فصل جميع العاملين فى القسم الذى تعمل فيه . رأت فى حلمها استدعاء الأشخاص العشرين الذين تعمل معهم ، واحدًا بعد الآخر إلى الإدارة ، وإخطارهم بإنهاء خدمتهم فى الشركة .

فى اليوم التالى روت ساندى لزملائها ما رأته فى حلمها . فضحك الجميع ، لاستبعاد فكرة الاستغناء عن أحد فى ظل الرواج الاقتصادى الذى تمر به الشركة .

بعد ذلـك بثلاثة شهـور ، تحقق الحلم . لقـد اسندت الإدارة عمل القسم إلى أقسام أخرى ، ومن ثم جرى فصل كل العاملين فيه ! .

السؤال الحائر .. من المقصود ؟

وهناك مجموعة من الأحلام ذات الدلالة ، والتى تدخل فى نطاق أحلام التحذير من كارثة أو مأساة ، قد يكون من الممكن تحاشيها وإبعاد أذاها ، إذا ما تمكن صاحب الحلم من تحذير الشخص المعنى بالتحذير .

فى مثل هـذه الأحـلام ، لا يتعـرف صـاحب الحلم ـ بشكل واضح ـ على الشخص المتعـرض للخطر ، ومن ثم يستحيل على صاحب الحلم أن يقـوم بالتحذيـر . فإذا ما تحقق الحلم بعـد ذلك بـالطـريقـة التى رآه بها الحالم ، فإن ذلك ينقل الذى شاهد الحلم من حالة الحيرة والبلبلة ، إلى حالـة من الاستياء الشـديد والغضـب ، لشعـوره أن القدر كان قاسيًا عليه ، عندما أتاح له أن يعرف بأمر المصيبة قبل حدوثها ، دون أن يتيح له أن يفعل شيئًا لمنعها .

الزهور القرنفلية

مثال ذلك ، ما حدث للسيدة فيليس ، ربة البيت . والتى كان زوجها يعمل فى مكتب البريد .

فى حلمها رأت السيدة فيليس طفلة صغيرة ذات شعر أصفر ، فى حوالى الثالثة من عمرها ترتدى ثوبًا أبيض عليه رسوم زهور ذات لون قرنفلى . فى الحلم ، كانت الطفلة تقف عند ناصية أحد الشوارع ، تتأهب لعبور الطريق . وعندما بدأت رحلتها إلى الرصيف الآخر ، اندفعت سيارة سوداء شديدة السرعة ، وصدمتها بقوة ، بحيث إن جسد الطفلة طار فى الهواء ، وسقط على بعد عدة أمتار . بلا حراك .

علمت السيدة فيليس فى حلمها أن الطفلة قد ماتت . ومع ذلك لم يتقدم أحد ليتحسس الطفلة أو يتعرف على حالها . وبعد فترة من الزمن ، بدت لها وكأنها بطول الدهر، تقدم أخيرًا صانع الأحذية خارجًا من محله ، ورفع جسد الطفلة الميتة ، ثم وضعه فوق الرصيف .

انتهى الحلم عند هذا الحد . وكانت أحـداثه ومشاهده على درجة عـالية من القـوة والوضـوح والحيويـة ، مما دفع السيـدة فيليس إلى أن تـروى تفاصيله لأمهـا فى صباح اليـوم التالى .

طـوال اليـوم ، ظلت تفكر فيما رأتـه فى حلمهـا . رغم خـروجها ومقـابلتهـا للعديـد من الصـديقات وانشغـالها بأحاديثهن .

وعندما وصلت إلى بيتها ، بعد جـولتها ، اندفع نحوها أخـوتها الصغار ، يحكـون لها عن الحادث الذى وقع للتـو لطفلة مسكينـة . . لقد كـانوا يصفـون جميعًا نفـس الذى شاهدتـه فى حلمها . . حتى فيما يتصل بالزهـور القرنفلية على الثـوب الأبيض للطفلـة . . بل إن الحادث وقع عنـد نفس النقطة من الناحية التى وقع عندها حادث الحلم ! .

طوربيد الغواصة الألمانية

وهنـاك نوع آخـر من الأحـلام ، يطلق عليه « الأحـلام التخـاطـريـة » ، وفيهـا يستقبل النـائم فى حلمـه بعض

المعلومات من شخص آخر ، راحل أو على قيد الحياة . إلا أن هذه المعلومات تتصل بالحاضر ، حتى لو جاءت من بعيد .

من أمثلة الحلم التخاطرى ، ما جرى للسيد جيفرى . من نيوجيرسى بأمريكا ، فى عام ١٩٤١ .

كان واحد من أعز أصدقاء جيفرى يعمل فى ناقلة بترول ، قاعدتها فى فورت بيرس ، بفلوريدا . وبينما كانت ناقلة البترول مبحرة ، أصيبت بطوربيد غواصة ألمانية . فقتل جميع طاقم الناقلة ، فيما عدا شخصا واحدا من طاقمها .

فى ذلك الوقت ، رأى السيد جيفرى فى منامة حلمًا حيًا واضح التفاصيل . شاهد صديقه محبوسًا فى قمرته بالناقلة ، يطرق باب القمرة بقبضته . ولفت نظره بالتحديد أكرة الباب المصنوعة من الصينى ، عندما شاهد صديقه يحاول أن يعالجها ليفتح الباب . خلال محاولاته هذه كان يصيح ويناديه ، مرة بعد أخرى ، مستخدمًا اسم التدليل الخاص الذى كان معتادًا أن يناديه به .

عند هذه النقطة انتهى الحلم .

وبعد ذلك بعدة ساعات ، تلقى جيفرى إخطارًا بوفاة صديقه ، فى هجوم على الناقلة .

لنكولن يحكم بوقائع اغتياله !

بعض الأحلام تتصل بالأحداث التاريخية الكبرى .

من بين ذلك الحلم الذى كان له أثر كبير فى حياة أوليفر كرومويل ، والذى ظهرت فيه امرأة ضخمة جدًا ، وقالت له إنه سيكون أعظم رجل فى انجلترا .

وقبل معركة بوسويرث فيلد ، عام ١٤٨٥ ، رأى الملك ريتشارد الثالث فى حلمه « مشاهد مزعجة ، كما لو كانت من صنع الأرواح الشريرة » ، وأخذت هذه المشاهد تتراقص أمامه ، بحيث لم يتح له أن يستريح طوال الليل . وكان ريتشارد الثالث محقًا فى تفسير ذلك الحلم ، بأنه يتضمن نبوءة عن هزيمته فى المعركة .

كـذلك الحلم الذى رآه نـابليون بـونابـرت قبل معركـة ووترلو ، والذى رأى فيه قطة سوداء تجرى جيئة وذهابا بين جيشه وجيش الأعداء ، وانتهى الحلم بانهيار جيشه . وقد اعتبر ذلك الحلم نبوءة بالهزيمة التى لقيها .

أما الرئيس الأمريكى ابـراهام لنكولن ، فقد رأى مشهد اغتياله فى حلم سابق للحدث .

وقد حلمت مـارى انطوانيت بشمس حمراء تـرتفع فوق أحـد الأعمدة ، ثم تتهـاوى فجأة . وقـد رأى المفسرون فى هذا الحلم نبوءة بإعدامها .

وروى المستشـــار بسمارك حلماً رآه لـــلإمبراطـــور وليم الأول . فى ذلك الحلم شاهد بسمارك النجـاح الباهر الذى حققته حملته العسكرية على النمساويين ، رغم أنه فى زمن ذلك الحلم ، كـانت الأمور تبـدو سيئـة بالنسبـة للجيش البروسى .

مثل هـذه الأحـلام ، التى تشير إلى أحداث قـادمـة . غيرت مسار التاريخ ، لا يمكـن أن ننظر إليها على أنها فى

ذاتها كانت سببًا فى تغيير ذلك المسار . . إنها لم تفعل أكثر من أن تشير إلى التغييرات أو تتنبأ بالأحداث . . وهذا فى حد ذاته يستحق إمعان الفكر .

حلم العريف أدولف

ومن الأحلام التى كانت فى ذات الوقت تنبؤية ، وذات تأثير بعيد على العالم ، ذلك الحلم الذى رآه أحد جنود النمسا ، فى معركة من معارك الحرب العالمية الأولى .

ذات يوم ، فى عام ١٩١٧ ، استيقظ العريف أدولف هتلر ، من كتيبة المشاة البافارية . . استيقظ من نومه فجأة ، فى أعقاب حلم رأى فيه نفسه وهو يدفن فى انهيار ترابى وسط حديد منصهر ، والدماء تتدفق من صدره . رغم أنه فى حقيقة الأمر كان يستلقى سليمًا صحيحًا فى مخبئه ، داخل خندق ليس بعيدًا عن مواقع جيش الأعداء الفرنسى .

عندما استيقظ من ذلك الحلم ، كان كل شىء يبدو هادئًا . . ومع ذلك فقد أقلقه ذلك الحلم . . ترك المخبأ ،

وتسلق حافة الخندق ، وتقدم إلى الأرض التى تفصل بين الجيشين . كان جانب من عقله يدين تصرفه هذا ويصفه بالحمق ، لأنه فى موقعه هذا سيكون معرضا للقذائف وطلقات الرصاص ، لكنه مضى فى طريقه ، كما لو كان منومًا .

فجأة . . بدأ اندلاع النيران ، متبوعة بصوت انفجار قريب . ووجد نفسه ملقيا على الأرض من أثر قوة ذلك الانفجار . وقتها ، فكر العريف هتلر فى أنه كان من الممكن أن يتقى هذا كله ، لو كان قد بقى فى مكانه من المخبأ ، وليس فى العراء . ومن ثم ، أسرع يعدو عائدًا إلى المخبأ يحتمى فيه ، لكنه اكتشف أن المخبأ لم يعد موجودًا! . . فى مكان المخبأ ، كانت هناك حفرة هائلة عميقة ، دفن فيها كل من كان فى المخبأ من جنود فى ذلك القطاع من الخندق الطويل .

أقنعته هذه التجربة ، بأن ذلك الحلم ، ونجاته من الموت ، يعنيان أن هناك مستقبلاً عظيمًا ينتظره . ولو لم يستجب هتلر لما شاهده فى حلمه ، لكان تاريخنا المعاصر قد تغير بشكل كامل . . . ربما إلى الأفضل ! . .

روح الحقيقة تزور ديكارت

إذا تركنا جانبا أحلام الساسة والعسكريين ، وتأملنا التاريخ الثقافى ، لعثرنا على نموذج عظيم لحلم غير فكر العالم .

صاحب ذلك الحلم هو الفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت . وهذا الفيلسوف المفكر قد يكون ـ أكثر من غيره ـ مسئولاً عن تزويد عصر العلم الحديث بمنهجه . ومبادئه ، والفلسفة التى قام عليها .

فى عام ١٦١٩ ، كان ديكارت فى الثالثة والعشرين من عمره ، فى فترة وقع فيها تحت ضغطين ، عاطفى وعقلى ، شديدين . كانت تختمر فى رأسه خطة طموح لتوحيد العلوم الرياضية ، لكنه لم يكن قد وضع أفكاره فى هذا الشأن على الورق . كان عليه أن يحل بعض المشاكل الأساسية التى تقف عقبة أمام خطته ، وبعض هذه المشاكل كان يبدو غير قابل للحل . وفى نفس الوقت كانت لديه مشاكل أخرى فى حياته الشخصية تتصل بمشاعره الجنسية والدينية .

فى ليلة العاشر من نوفمبر ، شاهد فى نومه ثلاثة أحلام متعاقبة . قال عنها فيما بعد « لا يمكن أن تكون قد جاءت إلا من أعلى » .

كان الحلمان الأولان يتضمنان خبرات مخيفة ، تعكس المخاطر والعنف والعجز . وقد حاول ديكارت تفسير ما جاء فى هذين الحلمين باعتبارهما تجسيدا لعواقب خطاياه وأخطائه فى الحياة . أما الحلم الثالث فهو الذى حدد المسار المستقبلى لحياته وعمله .

لقد آمن عند استيقاظه بأنه حظى بزيارة من « روح الحقيقة التى أرادت أن تفتح لى كنوز كل العلوم » . وأنه قد تسلم أمرًا من الله عز وجل بأن يهب حياته للبحث عن الحقيقة ، من خلال تطبيق المنهج الرياضى .

بعد عدة أيام من هذا الحلم ، بدأ ديكارت يواصل كتاباته . واستطاع ، فيما بقى من حياته ، أن يطور فلسفة تربط بين العقلى والدينى ، وهى الفلسفة التى تأثر بها العالم الغربى ، على مدى القرون الثلاثة التالية .

ولكن ، هل يا ترى كان من الممكن لديكارت أن يصل إلى ما وصل إليه بدون ذلك الحلم ؟ . . لا أحد يستطيع أن يجيب على هذا التساؤل . لكن الثابت أن أحلام ديكارت كان لها تأثير قوى على شخصه ، ومن ثم على مجال البحث العلمى .

ابن سينا .. وحلول ما بعد النوم

قصة أحلام ديكارت ، تثير تساؤلاً حول العلاقة بين الأحلام والابتكار العلمى والأدبى والفنى . العديد من الكتاب والفنانين والشعراء والعلماء ، أشاروا إلى فضل أحلامهم على إنجازاتهم . وكيف أن الأحلام ساعدت على تزويدهم بالأفكار المبتكرة ، والبعيدة ، وتشكل الأشياء بطريقة لم يكن من الممكن أن تتوفر عن طريق التتابع التقليدى للعمليات العقلية الواعية .

والعديد من البشر مروا بتجربة الوصول إلى حل مشكلة ما ، عن طريق « النوم عليها » ، أى النوم أثناء التفكير المركز فيها . والبعض يفسر هذه الظاهرة ، بأن اللاشعور

أو العقل الباطن ، يقوم بمواصلة العمليات الفكرية أثناء النوم ، بالنسبة للعمليات التى كانت قد بدأت على المستوى الشعورى .

عن هذه الظاهرة ، كتب الفيلسوف الإسلامى الكبير ابن سينا قائلاً « ومهما أخذنى أدنى نوم ، كنت أرى المسائل بأعيانها فى نومى ، واتضح لى كثير من المسائل فى النوم » ، أى أنه كان يستيقظ ليجد أن المسألة العلمية التى استعصت عليه فى اليوم السابق ، قد وجد حلالها عند استيقاظه .

كذلك قالت الأديبة الكبيرة شارلوت برونتى للشخص الذى كان يسجل سيرتها الشخصية ، إنها غالبا ما كانت تستيقظ من نومها لتجد حلولاً لمشاكلها فى الكتابة ، إذا تعمدت التركيز على المشكلة ، قبل أن تغرق فى النوم .

فى مثل هذا الحالات ، يكون من المقبول افتراض أن عمليات التفكير العادية ، قد تواصلت أثناء النوم . غير أن بعض الأحلام الابتكارية الموحية ، تقود إلى نتائج قد

يكون من الصعب الوصول إليها فى حالات الوعى الشعورى .

الثعبان الذى أكل ذيله !

الكيميائى الألمانى الكبير كيكولى ، أحدث ثورة فى الكيمياء العضوية ، عندما اكتشف تركيب البنزين . وقد توصل إلى ذلك من خلال حلم رآه فى نومه ، عندما وصل إلى ما يشبه التوقف فى بحثه ، حول هذا الموضوع .

فيما بعد ، قال كيكولى لمؤتمر ضم جمعا من زملائه العلماء ، إن الأمر حدث كالتالى « أدرت مقعدى ليواجه المدفأة ، وغرقت فى حالة من الاسترخاء ، بين النوم واليقظة . . وجدت الذرات تتجمع أمام عينى ، تتلوى وتدور كالثعابين . رأيت ما جعلنى أتساءل : ما هذا ؟ . لقد التقط أحد الثعابين ذيله فى فمه ، ثم دارت هذه الصورة سريعًا بشكل ساخر أمام عينى . . كما لو كانت التماعات برق فى السماء . استيقظت ، وانشغلت باقى الليلة فى تأمل احتمالات ذلك الفرض » .

لقد أوحت الصورة الدائرية ، التى صنعها الثعبان عندما أكل ذيله ، أوحت إلى كيكولى بالتركيب الجزيئى للبنزين . . شكل سداسى ، تستقر ذرة كربون وذرة أيدروجين عند كل رأس من رؤوسه .

وانهى كيكولى حديثه باستخلاص على شكل توصية ، لابد أنها أثارت دهشة العديد من الأكاديميين الذين كانوا يستمعون إليه ، فقد قال « دعونا نتعلم أن نحلم أيها السادة . . ووقتها ، قد نصل إلى الحقيقة » .

العالم الذى لم يكن ليندهش ، لو كان حاضرا ذلك المؤتمر ، هو العالم نيكس بور .

الكاهن .. وسر العقيق

نيكس بور ، عالم طبيعة من هولندا ويعتبر من المعالم الأساسية للثورة العلمية خلال القرن العشرين ، تلك الثورة التى قادت إلى تطوير الطاقة الذرية ، والميكانيكا الكمية .

ويرجع العالم بور الفضل إلى الأحلام التى يشاهدها فى نومه ، فى اكتشاف نوع ذرة الايدروجين التى تحمل اسمه الآن ، وفى التوصل إلى فكرة « عش الغراب » الذرى .

ولغة الأحلام تكون دائماً بصرية ورمزية . وتفسير الأحلام التى تساعد على حل المشاكل يعتمد على ما يبثه اللاشعور من مفاتيح لحل لغز المشكلة ، هذه المفاتيح التى تجيئ على شكل رمزى ، هى التى تتيح تناول المشكلة بشكل جديد .

وهناك تطبيق آخر على هذا الذى نقوله .

فى عام ١٨٩٣ ، تمكن علماء الآثار ، من جامعة بنسلفانيا ، من التوصل إلى أطلال بابل فى العراق ، وفيما بعد تم تقديم رسوم تفصيلية لقطعتين من العقيق عليهما بعض النقوش غير المفهومة ، إلى دكتور هيلبر يشت . أستاذ التاريخ الأشورى فى الجامعة ، على أمل أن يتوصل إلى ترجمة هذه النقوش أو إلى تفسيرها .

بعد أسبوع من العمل الجاد ، لم يكن د . هيلبر يشت قد توصل إلى حل لشفرة هذه النقوش . وبعد كثير من التردد ، صرح بأن القطعتين هما خاتمان من خواتم بابل .

ثم جاء دور الحلم الغريب الذى رآه فى نومه . . .

يحكى هيلبر يشت تفاصيل ذلك الحلم ، فيقول «رأيت كاهنا رفيعًا طويلاً ، من عصر ما قبل المسيح ، فى حوالى الأربعين من عمره ، حليق الرأس ، يرتدى رداء بسيطًا . وأن ذلك الكاهن قاده إلى حجرة الكنوز فى المعبد . كانت الحجرة صغيرة ذات سقف منخفض ، وبدون نوافذ . وكانت تحتوى على صندوق خشبى كبير ، وبعض قطع صغيرة مكسورة من العقيق وأحجار اللازورد ، منثورة فى أنحاء أرض الحجرة . قال له الكاهن إن هذه القطع التى يبحث عن أمرها ، ليست من الخواتم . ثم بدأ يطرح عليه حصرًا تفصيليا لتاريخها . وقال له الكاهن إن الملك كوريجالذو ، قدم ذات يوم نذرًا إلى المعبد ، عبارة عن اسطوانة مفرغة من العقيق عليها نقوش . وبعد هذا ببعض الوقت ، تلقى الكهنة أمرًا بعمل زوج من الأقراط

المستديرة المصنوعة من العقيق ، ليزين بها تمثال الإله نينيب . ونظرا لأنهم لم يكونوا يملكون العقيق اللازم لذلك ، فقد كسروا اسطوانه العقيق إلى ثلاث حلقات استخدموا حلقتين منها فى صنع القرط . واستطرد الكاهن قائلاً « إذا ما ضممت الحلقتين إلى بعضهما ستتأكد من صحة كلامى . . أما الحلقة الثالثة ، فلن تعثروا عليها » .
ثم اختفى الكاهن .

عندما استيقظ دكتور هيلبر يشت من نومه ، أخطر زوجته بتفاصيل حلمه الغريب . وبعد ذلك ، عندما امتحن الرسوم التى تلقاها ، اندهش جدًا عندما اكتشف أن تفاصيل الحلم خدمت بشكل عملى كوسيلة للتعرف على أصل هذه الأجزاء » .

فى آخر تلك السنة ، اتيح للأستاذ أن يزور متحف اسطمبول ، حيث جرى حفظ القطعتين الأصليتين من العقيق . ونظرا لأن أحدا لم يكن يتوقع وجود علاقة بينهما . جرى عرضهما فى مكانين مختلفين من المتحف . وعندما اتيح للدكتور هيلبر يشت أن يضمهما إلى بعضهما ، كونا قطعة واحدة ، وأصبح من الممكن فهم معنى النقوش .

دكتور جيكل ومستر هايد

لقد تحدثنا من قبل عن اعتماد الكاتبة شارلوت برونتى على الأحلام فى بناء قصصها . إلا أن المثل الأكبر للعلاقة بين الإنتاج الأدبى والأحلام ، فهو الذى يعطيه الكاتب الكبير روبرت لويس ستيفنسون .

حرص الكاتب المعروف على تنمية قدرته ، من أجل الوصول إلى أحلام قصصية !

وتوصل ستيفنسون إلى أحلام قصصية حافلة بالتفاصيل ، وعلى درجة من التركيز فى أحلامه ، بل إن بعض هذه الأحلام كانت تأخذ شكل المسلسلات ، ليلة فى أعقاب ليلة . وقد أرجع الفضل للأحلام فى العديد من حبكات ومشاهد وشخصيات قصصه ورواياته ، مثل «أناس صغار » ، و «براونيز » .

أما بالنسبة لروايته الشهيرة التى تحولت إلى فيلم سينمائى أكثر من مرة ، « دكتور جيكل ومستر هايد » ، فقد قال عن علاقة الأحلام بتأليفها « لقد حاولت طويلاً ، أن أجد جسدًا أو مطية . لفكرة الإحساس القوى عند الإنسان

بازدواجيته ، والتى لابد أن يأتى عليها الوقت الذى تطفو فيه إلى السطح ، فتثير الحيرة فى عقول البشر . . إلى أن حل وقت من أوقات التأزم المالى ، وظهرت فيه حاجتى الشديدة إلى إنجاز عمل أدبى . . طوال يومين أخذت أعصر عقلى بحثًا عن حبكة لأى قصة من أى نوع . . وفى الليلة الأخيرة حلمت بمشهد النافذة ، ثم بمشهد تال عندما انقسم البطل إلى شخصيتين ، حينما عمد مستر هايد ، بعد تعقبه نتيجة لجريمة ارتكبها ، إلى تناول المسحوق ليمر بالتغيير ، فى حضور متعقبيه . . أما باقى الأحداث ، فقد توصلت إليها فى اليقظة ، وبشكل شعورى » .

العقل الباطن ..
بين السخف والابتكار

هناك رأى سائد ، بأن أحد أكثر الأعمال غموضًا وشاعرية وثراء رمزيًا فى الشعر الإنجليزى ، هو قصيدة «قوبلاى خان » ، للشاعر الكبير كولريدج ، والتى

استمدت وحيها ـ هى الأخرى ـــ من حلم شاهده الشاعر فى نومه .

فى مقدمة لإحــدى طبعات دواوينه ، أعطى كــولريدج وصفًا للكيفية التى كتب بها شطرا من قصيـدته الطويلة . بعـد أن نام لثلاث ســاعـات ، عصر يوم من الأيـام ، فى الكوخ الخاص به . قبل أن يغرق فى نومه كان يقرأ فقرة عن ذلك الخان ، بعد أن تعاطى الافيون « بسبب وعكة صحية بسيطة » ، على حد قوله .

عندما استيقظ ، كانت القصيدة كاملة فى رأسه ، لكنه لم يستطع أن يضع على الورق إلا جانبا منها ، نتيجة لهبوط زائر عليه قطع عليه عمله .

بعد ساعة ، عندما حاول أن يستأنف تأليف القصيدة . وجد أن كل ما بقى له ، هو ذكـرى معتمة لباقيها ، وإنه لم يعـد يستطيع كتـابـة شىء . لقد حــدث لـه ، مـا يحدث عادة ، عندما تراوغ الرؤية المكتملة فى المنام جهد تسجيلها بشكل شعورى ، وتنفلت عائدة من حيث أتت .

كان كولريدج محظوظا على أى حال ، لأن الكثير من البشر الذين يحلمون ، فيتصورون أنهم عثروا على كنز ثمين، يكتشفون بعد اليقظة أنهم كانوا يقبضون على سراب ! . .

العالم النفسى والفيلسوف الأمريكى وليم جيمس . حلم ذات ليلة أنه قد توصّل إلى فكرة ، يمكن أن تفك أسرار الكون . وتحت تأثير ما شعر به من إثارة وانفعال . سجلها على الورق وهو نصف نائم ، ثم عاد إلى نومه . وعندما نظر إلى ما دونه على الورق فى الصباح ، وجده مجرد هذيان ، وكلمات سخيفة .

أن العقل الباطن ، كما يبدو ، يمكن أن يكون سخيفًا ، بنفس درجة الابتكارية التى نلمسها فيه أحيانا أخرى .

شبح دانتى

وإذا كان كولريدج قد عجز عن استكمال قصيدته التى استمدها من أحلامه ، فإن الأحلام كانت السبيل إلى

استكمال ما ينقص من النص الكامل لرائعة « الكوميديا الإلهية » ، لكبير شعراء إيطاليا الذى عاش فى القرن الرابع عشر الميلادى ، دانتى اليجييرى .

عندما توفى دانتى ، ضاع جزء من مخطوط رائعته «الكوميديا الإلهية » . ولعدة شهور ، حاول إبناه جاكوبو وبييرو أن يعثرا على باقى قصيدة والدهما ، دون فائدة .

عندما فقدا الأمل تمامًا فى العثور على باقى القصيدة . رأى جاكوبو فى منامه حلماً ، قاده إلى الوصول إلى بغيته .

رأى والده فى الحلم يرتدى ثوبا أبيض ، ويسبح فى ضوء أثيرى . على الفور سأله جاكوبو عما إذا كانت تلك القصيدة قد استكملت أصلاً فأوما دانتى برأسه إيجابا . وكشف لجاكوبو عن المكان الموجودة فيه ، فى حجرته القديمة .

حرص جاكوبو على دعوة أحد المحامين من أصدقاء دانتى ، ليحضر الكشف عن باقى القصيدة كشاهد . توجه جاكوبو مع المحامى إلى المكان الذى تم تحديده فى

الحلم . كان هناك غطاء خشبى مثبت على الحائط . وعند رفع ذلك الغطاء ظهرت كوة صغيرة . وبداخل تلك الكوة ، وجدا مجموعة من الأوراق غارقة فى التراب والعفن .

بحرص شديد رفعا الأوراق من مكانها ، ونظفاها من التراب والعفن ، وراحا يقرآن باندهاش شديد كلمات دانتى . وهكذا ، قدر لرائعة « الكوميديا الإلهية » أن تكتمل ، والفضل فى ذلك لشبح دانتى الذى ظهر فى الحلم .

الفتاة المفقودة

هذا الحلم ، تتكرر وقائعه ، ضمن فصيلة من الأحلام . هى أحلام التخاطر والجلاء البصرى ، وهى تيسر الوصول إلى معلومات مفيدة ، عن مكان أو زمان بعيد .

من بين هذا ما حدث للفتاة بيرتا هيوز . لقد غادرت بيتها فى الصباح المبكر ليوم ٣١ أكتوبر عام ١٨٩٨ ، ثم اختفت نهائيًا . .

عندما شاع خبر هـذا الاختفاء ، تطوع ١٥٠ رجلاً من أهل مدينتها اينفيلد بولاية فرمونت الأمريكية للقيام بحملة بحث وتفتيش ، فى الغابات والشـواطئ القريبة من بحيرة موسكوفـا . والسر فى هذا ، هو أن المعلومـة الوحيدة التى توفرت بشأن لغز الاختفاء ، جاءت من إحدى السيدات . التى ذكـرت أنها شاهـدت شابـة ـ ربما تكـون برتـا ـ فـوق كوبرى شيكو ، المقام فوق بحيرة موسكوفا .

لم يتمخض اليوم الأول من البحث عن أى نتيجة . وفى اليـومين الثـانى والثـالث تم استقـدام أحـد الغـواصين . ليبحث فى مياه البحيرة ، لكنه لم يجد أثرًا للفتاة .

فى ذلك الوقت ، كانت تعيش فى قريـة تبعد حوالى ستة كيلو مترات من البحيرة ، سيدة مسنـة ، هى زوجة السيد تيتوس . خـلال اليوم الثانـى من البحث ، غفت السيدة تيتوس وهـى جالسـة على كرسيهـا الهزاز ، عندمـا أيقظها زوجها ، قالت باستيـاء « جورج . . لقد قطعت حلمى . كان من الممكن أن أخبرك أين ترقد هذه الفتاة الضائعة ! » .

فيما بعد ، وخلال الليل ، سمعها زوجها تتكلم في نومها عن الفتاة المفقودة ، وخلال كلامها هذا ، بدا أنها تعطي تعليمات للغطاس ، وكانت تردد « لا . . إنها ليست هنا . . هناك . . إلى اليسار » .

عندما أفاقت من نومها ، في صباح اليوم التالي . والذي كان رابع يوم على اختفاء الفتاة ، قالت لزوجها إنها قد عرفت من حلمها أين يستقر جثمان برتا . . وأن على الباحثين أن يركزوا بحثهم على جانب من الكوبري الذي يمر فوق البحيرة .

وصلت كلمات السيدة تيتوس إلى صاحب أحد المصانع في المنطقة ، فتأثر بها . كان قد تبرع بالإنفاق على عملية البحث ، فقرر استدعاء الغطاس مرة ثانية ، بعد أن كان قد صرفه .

عندما وصلت السيدة تيتوس إلى الموقع الذي اعتقدت أن جثمان الفتاة قريب منه ، قالت للغطاس الذي كان يتبعها « هذا يبدو شبيها بالموقع الذي رأيته الليلة الماضية في

الحلم » ! حاول الغطاس أن يحتج ، قائلاً إنه قد غطس فى هذا الموقـع من قبل ، فقالت السيـدة تيتوس بحسزم « لقد بحثت هنـا وهنا ، لكنك لم تبحث فى هـذه البقعة . . إنها هنا . . رأس مغروس فى الطين ، وإحدى ساقيهـا مرفوعة لأعلى وبها الحذاء المطاطى الطويل . . » .

غطس الرجل متشككـا ، بينما جموع الفلاحين ترقب فى قلق . وبعد مـا يقرب من دقيقـة ، طفت إلى السطح قبعة نسائية . تدافع الجمع إلى حافـة الكوبرى . وعندما صعد الغطاس بعد فترة ، قال إنه عثر على جثة الفتاة ، بالضبط فى الموقع الذى حددته السيدة تيتوس .

وصف الغطاس بعـد ذلك شعوره ، عندمـا وضع يده لأول مـرة على جثـة الفتـاة ، تحت ستـة أمتـار من سطح البحيرة ، قـال « تجمـدت فى مكـانى . . إن عملى هـو انتشـال الجثث من الماء ، ولم يحدث أن انتابنى أى خـوف من الجثث التى انتشلتهـا ، لكن فى تلك اللحظـة كنت خائفًا . . ليس من الجثة ، ولكن من تلك المرأة التى تقف

فوق الكوبري . . لقد قلت لنفسي : كيف يمكن لأى امرأة أن تأتي من موقع يبعد ستة كيلو مترات ، وتخبرني أين سأجد الجثة ؟! » .

لم يستطع العالم السيكلوجي وليم جيمس ، الذى حقق الواقعة واستجوب الشهود ، أن يجيب على التساؤلات المثارة حول الواقعة . لقد وقع فى نفس حيرة الغطاس . لكنه قال « واقعة السيدة تيتوس ، تعتبر سندًا قويًا فى جانب الاعتراف بالخصائص غير العادية لمثل هذه الرؤى وحالات الجلاء البصرى » .

مأساة الكونت الاسبانى

وهنالك حالة أخرى من حالات الجلاء البصرى أو الشفافية ، التى ترتبط بالأحلام ، والمعروفة فى المراجع المختصة باسم « حالة وليم أوليفر ستيفينس » .

كان الشاب وليم قد تأخر على الإفطار ، ولم يستجب للنداءات ، ومن ثم توجهت أمه إلى حجرته لمعرفة السر

فى ذلك . وجدته جالسًا فوق سريره ، يحملق فى الفضاء . كما لو كان صريع حادث مرعب شهده . وعندما تكلم . قال إنــه رأى حلما فظيعًا مرعبًا ، ليس مثل أى حلم رآه من قبل .

فى ذلك الحلم ، رأى نفسه يحلق فى الفضـاء على ارتفاع سبعـة أمتـار ، فوق سيـارة تسير فى طـريق مترب ، داخل السيارة كان هناك رجل وامرأة . فجأة . . انحرفت السيارة عن الطـريق، واصطدمت بعمـود طـويل . كان الـرجل طـويلاً نحيفًـا ، يبدو عليـه أنـه من « الأجانب » ، وقـد اندفع من السيـارة فى أعقـاب الاصطـدام ، مـرتميًا على الأرض، وقـد أمسك بمعـدتـه أثنـاء استلقـائه فـوق الحشـائش، حاول الـرجل أن يدخن سيجـارة ، لكن من الـواضح أن حـالـة الألم الشـديـد التى يمـر بها ، جعلت السيجـارة تسقط مـن فمـه أكثـر من مـرة . كـان اهتمام صاحب الحلم مـركزًا على الرجل، وإن كان يشعـر بوجود الفتاة التى تقف على مقربة، وعرف أن إصابتها طفيفة .

بعد ذلك ، عندما تطلع وليم إلى الرجل ، والدخان يخرج من فمه ، راح يفكر فى الحكايات التى سمعها عن الذين شاهدوا الروح ، وهى تخرج من جسد الشخص لحظة وفاته ، لكنه عاد وأدرك أن الدخان يغلب أن يكون دخان السيجارة .

كانت عائلة وليم تقيم فى ذلك الوقت فى بيتها الصيفى ، فى جزيرة نانتوكيت . ولم يكن لدى العائلة أى اتصال تليفونى بالشاطئ ، كما أن الجزيرة تتسلم الجرائد الصباحية ، بعد ظهر اليوم .

فى ذلك اليوم بالتحديد كانت الصفحة الأولى من الجريدة تحمل صورة رجل ذى شعر أسود ، تعرف وليم مباشرة عليه ، وقال إنه هو الذى رآه فى الحلم . والتقرير المنشور مع الصورة ، يحكى ظروف وفاة الكونت كوفادونجا ، ولى العهد السابق للعرش الاسبانى ، فى حادث سيارة بكاليفورنيا .

كان الكونت بصحبة امرأة شابة تعمل بائعة سجائر فى ملهى ليلى بميامى . كانت إصابتها فى الحادث طفيفة .

وقالـــت فى شـهادتهـــا إن عجلـــة القيـــادة اختلـــت فى يديهـا ، عندمـــا انحـرفت لتتفـادى سيـارة شحن ، وإن السيـارة حـادت عن الطـريق على الجانب الأيسر منـه . واصطدمت بالعمود .

كانت إصابة الكونت شديدة ، إلا أنه كان من الممكن إنقاذه ، لو أمكن إيقاف النزيف فى الوقت المناسب .

وقد توفى الكـونت فى المستشفى ، واتهمت المرأة بالخطأ المؤدى إلى القتل .

إن الاتفاق بين الحلم وبين الأحداث الواقعية ، فى هذه الحالة . يبدو واضحًا . الفـرق الوحيد الملفت بينهما ، هو أن سيارة الشحن التى يعـزى إليها السبب فى الحادث ، لم تظهر فى الحلم .

انهيار أبرفان الرهيب

فى يـوم الجمعـة ٢٠ أكتـــوبـر عـام ١٩٦٦ ، صعقت جماهير لندن بأخبار مأساة كبرى .

ففى التاسعة والـربع من ذلك الصباح ، بقرية أبرفان إحـدى قـرى التعدين فى ويلـز ، انهار جبل من نفـايـات الفحم وترابه ، فدفن مدرسة للأطفال بمن فيها .

قيل فى ذلك الـوقت إن جبل الفحم المنهار يصل وزنـه إلى نصف مليون طن ، وإن سبب الانهيار يعود إلى الأمطار المتواصلة التى سقطت على مـدى يومين ، فخلخت جبل الفحم . توفى فى هـذه المأساة مـا يزيـد عن ١٤٠ شخصًا معظمهم من الأطفـال الذيـن كانـوا قـد وصلوا لتـوهـم ، وتجمعوا فى ساحة المدرسة تمهيدًا لدخول الفصول .

أحد الأطفال الـذين لقوا مصرعهم فى الحادث ، كانت طفلة تدعى ايريل ماى جونز ، فى التاسعة من عمرها . فى اليوم الســابق للحادث قـالت ايـريل ماى لـوالدتها ، إنها رأت فى الحلم أنها ذهبت إلى المدرســة « فلـم تكن هنـــاك مدرسة » . . فقط شىء أسود قد هبط ليغطيها بأكملها .

فى الليلة التى رأت فيها ايريل ماى حلمها ، وفى الليلة التى تليها ، قـال أشخاص عديدون من أنحـاء مختلفة من

أنحاء انجلترا ، إنهم رأوا أحلامًا مزعجة فى نومهم ، تحمل أوجه شبه كثيرة بوقائع المأساة .

إحدى السيدات رأت فى نومها جبلاً يهبط من السماء . وطفلاً يجرى ويصرخ . وأخرى رأت طفلاً محبوسًا فى كابينة تليفون عمومى يصرخ ، وآخر يهرب من « كتلة سوداء متدحرجة » تلاحقه . ورأت ثالثة فى حلمها مدرسة وتلاميذ يرتدون الزى القومى لويلز ، وهم يصعدون إلى السماء . وهناك رجل مسن رأى فى حلمه كلمة « أبرفان » مكتوبة بالضوء الساطع ، رغم أنه لم يكن يعلم فى ذلك الوقت شيئًا عن وجود هذه القرية فى ويلز . . ولذلك فإن الكلمة التى رآها فى حلمه لم تكن تعنى بالنسبة له شيئًا .

بعد المأساة بدأت الصحف حملة لجمع المعلومات عن حالات التعرف المسبق للحادث الأليم . وقد كشف هذا عن أن الكثيرين رأوا أحلامًا من الحدث قبل وقوعه بأسبوعين فى بعض الحالات .

إحدى السيدات كان حلمها محددًا ، « أطفال يصرخون ، عندما وجدوا أنفسهم يدفنون نتيجة انهيار

أكوام الفحم ، فى إحدى قرى التعدين » . وأخرى تضمن حلمها « مئات الحيات السوداء ترعد هابطة على سفح جبل ، تجر خلفها نعوشًا » . واستيقظ شاب من كنت فى صباح ١٧ اكتوبر ، بإحساس غامض حول كارثة قادمة . وبقى لديه ذلك الاحساس باقى الأسبوع . وقال لزميل له فى المكتب « يوم الجمعة القادم ، سيحدث شىء رهيب . يرتبط بالموت » .

ومن ناحية أخرى ، أخبر السيد الكسندر فين زوجته نفس الشىء تقريبًا . وقد وجد أنه لعدة أيام ظلت أفكاره تدور حول موضوع تراب الفحم ، إلى حد أنه رسم تخطيطًا سريعًا لرأس تحيط بها سحابه سوداء .

أما السيدة ميلدين ، وهى من صاحبات القدرات العقلية الخاصة فى بلا يموث ، فقد تلقت رؤية محددة فى غفوتها ، حول المأساة فى اليوم السابق لحدوثها . لقد رأت مدرسة فى أحد الوديان ، وانهيارا لفحم يندفع على سفح الجبل ، وعند أصل الجبل كانوا يحفرون بحثًا عن الجثث . وكان أحد العمال يضع غطاء رأس غريبا ، له نتوء حاد فى

أعلاه ، وكـان هناك طفل صغير مـرعوب ، يتهـدل شعره على عينيـه . وعنـدما شـاهـدت السيـدة ميلدين تقـريـرًا إخباريًـا مصورًا على شـاشة التلفـزيون ، يصـور عمليات الإنقاذ ، بعد ذلك بثلاثـة أيام ، تعرفت على نفس المشهد الذى كـانت قد رأته فى غفوتها ، بما فى ذلك الـرجل بغطاء الرأس الغريب ، والطفل بشعره المتهدل على جبينه .

حلم مارك توين

والتـاريخ حـافل بشـواهـد عـن التعـرف المسبق على الكوارث من خلال الأحلام . من بين هذا ما رواه الكاتب المعـروف مارك تـوين للكاتب الـذى كتب سيرة حياتـه . البرت بين .

فى الـوقت الـذى يتكلم عنه ، لم يكن قـد اتخذ لنفسـه اسم الشهـرة مارك تـوين ، وكـان ما زال يتعـامل باسـمه الأصلى سام كليمينس .

كان يبلغ فى ذلك الوقـت من العمر ٢٣ سنة ، ويعمل كربان تحت التمرين ، على السفينة البخارية «بنسلفانيا» .

التى تبحر فى المسيسيبى . وكـان شقيقه الأصغـر هنرى . البالغ من العمر حينذاك ٢٠ سنة ، يعمل كاتبًا على نفس السفينة .

ذات ليلة ، رأى سام رؤية حية فى منـامه ، تدور حول نعش معدنى يستقر على كرسيين ، داخل ذلك النعش رقد جثمان أخيـه ، وعلى صدره بـاقـة زهور بيضـاء ، مع وردة قرمزية فى وسطها .

كان سام يقيـم فى منزل شقيقته بمدينة سـان لويس فى ذلك الوقـــت . وفى صبـــاح اليــــوم التالـــى أخبرهـــا بتفــاصيل الحلم الـــذى رآه . . ثم نسـى بعـــد ذلك كل مايتصل بذلك الحلم .

بعد عدة أيام ، حدثت مشـادة بين سام ورئيس ربابنة الباخرة بنسلفانيا . ونتيجـة لهذا ، تم نقله إلى باخرة أخرى اسمها « لاسى » ، تأخذ نفس مسـار بنسلفانيا ، متأخرة عنها بيومين ، أما شقيقه هنرى فقد بقى على بنسلفانيا .

بعد ذلك بعـدة أيام ، عنـدما رست البـاخرة لاسى فى مـدينـة جرينفيل ، علم سـام أن البـاخـرة بنسلفانيـا قـد

انفجرت قبل وصولها إلى ممفيس ، وبلغ عدد القتلى ١٥٠ شخصا . وقد هدأت نفس سام عندما علم أن شقيقه هنرى لم يكن من بين القتلى ، وإن كان بين أولئك الذين أصيبوا بحروق حادة فى الحادث .

عندما وصل سام إلى ممفيس ، وجد هنرى مستقليا وهو غائب عن الوعى ، فى مستشفى مؤقت أقيم لا ستقباله مع ٣٠ حالة حرجة أخرى . بقى سام ملازمًا لشقيقه ليل نهار، لا ينام إلا نادرًا . وعندما لفظ هنرى أنفاسه الأخيرة فى الليلة السادسة بعد الحادث ، غرق سام فى نوم طويل عميق من فرط الإجهاد .

عندما أفاق سام من نومه ، مضى يبحث عن جثمان أخيه ، فوجده ممددًا فى نعش معدنى ، يستقر على كرسيين . . كان المشهد مطابقًا تمامًا لرؤيته التى شاهدها فى الحلم ، مع تفصيلة واحدة مختلفة . لكن . بينما كان سام واقفًا أمام الجثمان ، يحدق فيه . دخلت سيدة عجوز إلى المكان ، ووضعت على صدر

هنري باقة من الزهور البيضاء ، مع وردة قرمزية فى وسطها وبهذا تحقق الحلم كاملاً .

الترام الأخضر

وإذا كان الحلم بالأحداث القادمة ، يكون نادرًا عند معظم الناس ، فهو ممارسة متكررة بالنسبة لبعض الأشخاص من ذوى القدرات العقلية الخاصة . من بين هذا البعض ، السيدة ايفا هيلستروم ، مؤسسة الجمعية السويدية لأبحاث القدرات العقلية الخارقة .

ذات ليلة من عام ١٩٥٤ ، شهدت السيدة ايفا حلمًا يتسم بالحيوية ، رأت فيه نفسها برفقة زوجها بو ، يحلقان فى الفضاء فوق مدينة استوكهلم . وبينما كانت تتطلع إلى أسفل فى اتجاه الشوارع والمبانى ، رأت فجأة تصادمًا بين حافلة عامة (اتوبيس) وبين ترام .

عندما استيقظت ايفا من نومها ، سجلت تفاصيل حلمها . إلا أنها لاحظت أمرًا غريبًا ، كانت عربات الترام

فى ذلك الوقت مطلية باللون البنى ، إلا أن الترام الذى رأته فى حلمها كان أخضر اللون . كانت السيدة هيلستروم واثقة من أن حلمها هذا يعتبر من أحلام التعرف المسبق الأصيلة ، لأنه كان متماسكًا ، ويتخذ طابعًا واقعيًا منطقيًا ، شأن أحلامها السابقة التى تحققت فعلاً . وبعد أن انتهت من تسجيل الحلم كتابة ، رسمت رسمًا تخطيطيا للحادث كما شهدته .

فى العام التالى ، بدأ استخدام العديد من عربات الترام الخضراء . . بنفس المواصفات التى سجلتها للحلم .

الأحلام .. سبيل المعرفة والقوة

قال الكيميائى كيكولى لزملائه « دعونا نتعلم أن نحلم أيها السادة ، ووقتها قد نصل إلى الحقيقة » .

ويقول ستيوارت هولرويد ، الباحث المتخصص فى الأحلام ، إننا نعلم اليوم أننا لسنا فى حاجة لأن نتعلم كيف نحلم ، لأن الحلم من النشاطات التى نشترك فيها

جميعًا كل ليلة فى حياتنا . والذين يحبون أن يجمعوا أحلامهم ، لكى يفهموا أشياء عن عقلهم الباطن بشكل أفضل ، يمكنهم أن يضاعفوا حصيلتهم من مواد الأحلام بشكل كبير ، عن طريق ساعة منبهة ذات جرس رقيق . يوقظهم على فترات كل ساعتين أثناء الليل (باعتبار أن مراحل الحلم فى النوم ، التى ترتبط بحركة العين السريعة . يكون لها مثل هذا التواتر الزمنى) .

كل ما يحتاجه الشخص بالإضافة إلى ذلك ، ضوء خافت إلى جوار الفراش ، وأوراق وقلم ، أو جهاز تسجيل صوتى ، ليسجل وصفه لأحلامه قبل أن تتبدد تفاصيلها . وبهذا يستطيع أن يجرى استكشافًا منظمًا لعالم أحلامه .

ويقول ستيوارت هولرويد إن على صاحب الحلم أن يلاحظ التقنيات الأساسية القليلة التالية :

١ ـ لا يستيقظ بشكل حاد مفاجئ .

٢ ـ ابق مع الحلم ، تأمله ، ودوّن ملاحظاتك ، حول كل ما يرتبط بالحلم من تفاصيل حياتك الواعية .

٣ ـ صنف الأحلام في مجموعات ، وحاول أن تُوجِد صلات بين أحلام كل مجموعة .

والأحلام التي يتم جمعها بهذه الطريقة ، يمكن اختبارها وتفسيرها بعدة أساليب ، وفقًا لاختلافها . لأنه عند التعامل مع هذه المنطقة شديدة الخصوبة من العقل . لا تكون هناك قواعد محددة ، بل مجرد مؤشرات عامة .

* * *

الثابت ، هو أن كل من يأخذ الأحلام مأخذ الجد . ويعمل عليها بإصرار وذكاء ، لابد أن يكسب معرفة وقوة . والصياد اليقظ لأحلامه ، قد يثاب ذات يوم باصطياد أحد الأحلام الكبيرة . والعالم النفسي يونج هو صاحب تعبير «الأحلام الكبيرة» ، ذات القيمة التنويرية ، وهو يقول إن هذه الأحلام الثمينة غالبًا ما تنزلق متخفية ، بين الشعب المرجانية المتشابكة للعقل .

غـرائب
أخـرى

سـيطرة العقـل.. سبيل الشـفاء

نظام التحكم فى الذات ، الذى مارسه أهل اليوجا فى الهند ، على مدى القـرون ، قد يحمل إلينا الإجابـة الشافية لمشكلة الأمـراض التى يفشل الطـب التقليدى الأكـاديمى فى عـلاجها . والأطبـاء الـذين يعملون فى تجارب العـلاج الـذاتى يطلقـون عليه اسم « بيوفيـدبـاك » ، أو التغذيـة الحيويـة المرتدة . . وجوهـرها هو أن يقـوم المريض بعلاج نفسه ، معتمدًا على إرادة عقله .

لقـد تـوصـل البـاحثـــون إلى أنـه بـالاعتماد على أجهــزة حسـاسة ، يمكن للمـريض أن يتحكم فى بعض وظـائف الجسم الاتومـا تيكية ، أو اللا إرادية ، والتى كـان المعتقد سابقًا أنه من المستحيل على الإنسان أن يتحكم فيها ، مثل

الضغط ودرجة حرارة الجسم ونسبة السكر فى الدم وسرعة ضربات القلب .

يقول الأطباء والعلماء الذين يعملون فى بريطانيا وأمريكا وعدد من دول أوروبا ، إن بعض الأمراض المتصلة بالقلب والمخ والمجموعات العضلية والجهاز الدورى يمكن التغلب على مصاعبها ، وليس الشفاء النهائى منها . بالاعتماد على التغذية الحيوية المرتدة (بيوفيدباك) .

التحكم فى موجات « ألفا »

ورغم أن الأبحاث فى هذا المجال لم تكتمل بعد ، فإن هناك اتفاقًا عامًا على أن ظاهرة التغذية الحيوية المرتدة تنبع من قدرتنا على التحكم فى موجات المخ « ألفا » ، وتنبع أيضًا من التحكم فى النبضات الكهربائية للنظام الليمفاوى فى الجسم ، والكائنة تحت الغشاء الرمادى للمخ مباشرة .

لقد تم اكتشاف موجات « ألفا » فى عام ١٩٣٥ ، وهى لا تظهر عادة إلا عندما تكون أعيننا مغلقة ، وتظهر

أحيانًا عندما نركز بصرنا على نقطة بعيدة . والمخ عادة لايصدر سوى موجات « بيتا » ، وترددها يكون أسرع كثيرًا من موجات « ألفا » . وبشكل عام تقود موجات « ألفا » إلى إبطاء إيقاع الجسم والجهاز العصبى ، وتوفير حالة من الاسترخاء .

إيقاف ضربات القلب

منذ سنوات بعيدة ، اعتاد الأطباء البريطانيون فى الهند أن يرسلوا التقارير إلى بلدهم ، تقول إن بإمكان ممارس اليوجا أن يقوم بأشياء غريبة ، من بينها إيقاف ضربات القلب ، والمشى على جمر متقد دون أن يصاب بأذى .

والسر فى هذا ، أن ممارس اليوجا يمتلك قدرة غير عادية ، على التحكم فى جسمه وعقله ، اعتمادًا على نظام خاص من التدريبات الجسدية والعقلية . ويبدو أنه عن هذا الطريق ، توصلوا إلى التحكم فى موجات ألفا وبيتا . رغم أنهم لم يكونوا يعرفون شيئًا عن هذه التسميات .

وعلى هذا الأساس ، فإن التغذية الحيوية المرتدة (بيوفيدباك) ، شأنها شأن ممارسات اليوجا ، تستهدف التحكم فى النظم ذاتية الاستقلال ، وهى تشكل جانبًا من نظامنا العصبى ، يقوم بعمله دون تحكم شعورى . مثل النظم التى تتحكم فى التنفس وضربات القلب وضغط الدم .

رفع حرارة الكف

فى عام ١٩١٠ ، توصل يوهان شولتز ، المنوم المغناطيسى الألمانى ، إلى أنه عندما يعلم مرضاه أن يقوموا بتنويم أنفسهم ، بالاعتماد على الاسترخاء ، يحققون نتائج مدهشة . فالمريض عندما يكرر عبارة « كفاى ساخنتان» . ترتفع فعلاً درجة حرارة الكفين .

وفى عام ١٩٦٤ ، دعم الأطباء الأمريكيون التجارب الأولى لشولتز عن طريق توصيل النساء المتطوعات بأجهزة تبين درجة حرارة الجلد ، ثم طلبوا من النساء أن

يسترخين، ويركزن فكرهن على أن درجة حرارة أكفهن ترتفع . وكانت النتيجة أن الأجهزة سجلت بوضوح ، وبما لا يقبل الشك ، ارتفاع درجة حرارة الأكف .

هذه التجربة كانت لها أهميتها الكبرى ، لأنها أثبتت علميًا إمكان التحكم فى الجهاز العصبى اللا إرادى رغم أن ذلك تم على نطاق ضيق .

كيف تضبط نفسك

ومنذ عام ١٩٦٤ ، حقق الأطباء تقدما مدهشًا فى هذا المجال ، وتم التوسع فى هذه التقنية لعلاج حالات الأرق ، والتوتر ، وارتفاع ضغط الدم والربو . وما زالت التجارب فى هذا المجال متواصلة ، بهدف الاعتماد على هذه التقنية فى علاج الصرع ، والشلل الناتج عن السكتة الدماغية ، وآلام الظهر ، والصداع النصفى ، والصداع الناشئ عن التوتر .

والجانب الأساسى فى هذا النوع من العلاج هو «التغذية المرتدة» . وهـذا يعنى أن يكـون المريـض قـادرًا على أن «يضبط نفسه» مع الوظيفة الجسدية المحددة التى يحاول أن يتحكم فيها . بمجرد أن يتمكن المريض من رؤية مـدى سرعـة ضربات قلبه ، أو الموجات السائدة فى مخه ، على مؤشر عـداد كهربـائى ، أو سماع ذلك صوتيًـا من خلال نغمة متغيرة ، يصبح فى طريقه إلى أن يتحكم فى أى عملية من هذه العمليات .

التوتر العصبى والربو

مـرضى الـربـو ، على سبيل المثـال ، تكـون لـديهم حساسية خاصة لبعض المثيرات أو المهيجات ، مثل الغبار أو التراب ، أو حبـوب اللقـاح ، أو الأدخنـة ، ألا أن النصيب الأكبر من متاعبهم يأتى من توترهم العصبى .

ويجرى عـلاج مريض الـربو فى حجـرة معزولـة بشكل تام، بعـد توصيل المريض بأسلاك جهـاز يطلق عليه اسم

«الكتروما يوجراف » . عندما يكون المريض فى حالة استرخاء، لا يسمع سوى دقات بطيئة للجهاز . إلا أن الطبيب يطلب منه بعد ذلك أن يتصور وجود تراب ، وأن يحاول تعميق هذا الإحساس ، أو يتصور وجود زهور ، أو غير ذلك من مسببات الربو . عادة ما يتوتر المريض بعد ذلك لمجرد التفكير فى هذه الأشياء ، فتتسارع دقات الجهاز ، إلى أن يشعر المريض أنه على وشك الوصول إلى أزمة ربو كاملة . . المهم ، أن كل هذا ينشأ عن التوتر الذى يسببه التفكير ، وليس لوجود الغبار أو الزهور أو غير ذلك .

عندما يتأكد المريض أن هذا التوتر هو عدوه الحقيقى . يتعلم كيف يتحكم فى ذلك التوتر ، بالاستماع إلى دقات الجهاز ، ومحاولة خفض سرعتها .

وفيما بعد ، يستطيع المريض أن يستغنى عن الجهاز كلية ، ويصبح قادرًا على التحكم فى توتره بإرادته . وبجهده الخاص ، فيعيش مستمتعًا بحياة خالية من أزمات الربو ، التى كان يعانى منها .

«تسونامى»..
الأمواج القاتلة عقب البُركان

فى أول ابريل من عام ١٩٤٦ ، هز الزلزال جانبًا من قاع المحيط الباسيفيكى ، فارتحلت الموجات التى ولدها ذلك الزلزال مسافة ٣٦٢٠ كيلو متر ، لتصل إلى جزر هاواى ، فى ٤ ساعات و٣٤ دقيقة ، بسرعة تصل فى المتوسط إلى ٨٠٠ كيلو متر فى الساعة . وعندما لطمت هذه الموجات مدينة هيلد ، بلغ ارتفاع الموج حوالى ١٤ مترا ، وتسببت هذه الأمواج فى مقتل ١٧٣ شخصًا . وفى إصابة المئات بالإضافة إلى الخراب والتدمير اللذين تم تقديرهما بخمسين مليون جنيه استرلينى .

موجة المد العارمة هذه يطلق عليها اسم « تسونامى » وسببها حركة قاع البحر نتيجة للزلزال . والأمواج التى تسببها تسونامى تعتبر أكثر الأمواج إثارة للرعب ، لأنها

تزحف فى صمت تحت سطح المحيط لتصطدم بأقرب شاطئ . وعلى امتداد شواطئ اليابان ، يمكن أن ترى حتى الآن اللافتات التى تحمل عبارة « عندما تشعر بالزلزال توقع هجوم تسونامى » ، وهى نصيحة تعكس ما حفل به تاريخ اليابان القديم من كوارث تسونامى .

وكلمة « تسونامى » كلمة يابانية ، تبناها العلماء من باقى الدول ، لتحل محل التعبير المضلل الذى كان يستخدم فى السابق تعبير « الأمواج المدّية » (نسبة إلى المد) ، ذلك لأن تسونامى ليس لها صلة بالمد والجزر .

هذه الموجة تنتشر من مركز الاضطراب ، بنفس الطريقة التى تنشأ بها الموجات عند إلقاء حجر فى بركة ساكنة . إلا أن الموجات المتولدة من الزلزال تكون غاية فى الطول والعمق ، بحيث إن السفن المبحرة فوق سطح المحيط لا تشعر بها .

الطاقة المختزنة فى تسونامى ، رغم أنها تبلغ واحدًا فى المائة فقط من الطاقة الكلية للزلزال ، إلا أنها تعادل سلاحا نوويا له طاقة تفجيرية عالية ، لها تأثير عدة ملايين طن من المواد المتفجرة .

عندما يقترب تسونامى من الشاطئ ، ويصل إلى المياه الضحلة ، تزداد قوته تركيزًا ، فيتزايد ارتفاع أمواجه . وعادة ما يعقب كل موجه منخفض شديد ، يشفط الماء وكل شىء فوق الشاطئ .

آثار تسونامى تكون فى الأغلب مخيفة وغير عادية . كتب أحد رسامي المحيطات ، والذى عايش تسونامى هاواى عام ١٩٤٦ ، كتب تقريرًا عن أحد البيوت ، اقتلع من أساسه ، وحملته الموجة مئات الأمتار ، لتضعه بعد ذلك برفق فوق الأرض ، بحيث إن طعام الأفطار الذى كان أهل البيت يعدونه ، لم ينسكب !

بعد كارثه عام ١٩٤٦ ، جرت إقامة نظام إنذار من هجمات تسونامى ، فى المحيط الباسيفيكى ، أكثر المحيطات تأثرًا بالظاهرة . فتم نشر وتعميم محطات أجهزة السيسموجراف (التى تقيس الهزات) ، على امتداد شاطئ الباسيفيكى ، لكى يعرف الناس مسبقًا بحدوث الزلازل التى تقع عند قاع المحيط ، وقبل أن تصل موجات تسونامى المكتسحة إلى الشاطئ ، حتى يستعدوا لذلك .

غرائب حواسّ الكائنات الحيّة

إذا سمع العصفور الدورى صوت إنسان ، فإنه يسمع شيئًا أقرب إلى صوت الرعد البعيد . إما إذا كان ذلك الصوت منخفض النغمات ، أى جهير (باس) بلغة الأوبرا ، فقد لا يستطيع العصفور سماعه بالمرة . ذلك لأن مدى سمع الصوت عند العصفور الدورى يختلف عن مثيله عند الإنسان .

هذا هو حال معظم الكائنات الحية المحيطة بنا فى العالم . إنها تمتلك ـ فى الأغلب ـ الحواس الخمس المعروفة : النظر والسمع واللمس والذوق والشم ، إلا أن هذه الحواس تكون على درجات متباينة من القوة والضعف . وفقا لاحتياجات ذلك الكائن ، وطريقة عيشه .

فى الطيور ، يكون البصر هو أكثر الحواس تطورًا وكمالاً. فالصقر الحوام ، الذى يحلق على ارتفاع كبير،

يكون فى حاجة إلى الوصول إلى وجبته ، التى قد تصل فى صغرها إلى سحلية أو خنفسة ، تسعى على الأرض من تحته . لذلك فان قوة إبصار الصقر تبلغ ثمانية أضعاف قوة إبصار الإنسان .

أما الحيوانات التى تصطاد فرائسها بتتبع آثارها . فغالبًا ما يكون بصرها ضعيفًا ، مع تمتعها بحاسة شم قوية .

الكلاب ـ على سبيل المثال ـ ترى صورة العالم من حولها ضبابية ، وبلا ألوان ، مجرد درجات من اللون الرمادى . ذلك لأنها قصيرة النظر إلى حد بعيد ، وعمياء لونيا .

لكن العلاقة بين حاسة الشم عند الكلب وعند الإنسان ، أقرب إلى العلاقة بين عزف أوركسترا سيمفونى كامل ، وصوت صفارة أطفال . الكلب من النوع الالزاسى يبلغ عدد خلايا الشم عنده ٢٢٠ مليون خلية بينما عددها عند الإنسان هو ٥ ملايين خلية . وخلاصة التجارب فى هذا الصدد ، أن قدرة رصد الروائح عند الكلب أفضل ملايين المرات من الإنسان .

وهذا لا يعنى أن حاسة الشم عند الإنسان بدائية ، أو غير متطورة . فمعظم البشر يتمتعون بأنوف ذات قوة شم أكثر حساسية للروائح مما نحتاجه فى حياتنا الراهنة . فالإنسان متوسط القدرة يمكنه أن يميز بين أكثر من عشرة آلاف رائحة مختلفة . وبالتجربة ، ثبت أنه قادر على رصد وجود نقطة من عطر المسك ، داخل صالة موسيقية كبيرة .

رائحة أنثى الفراش

لكن الذى يحتاجه الكائن الحى أكثر من غيره ، ليس هو دائماً القدرة على التمييز بين عدد هائل من الروائح . فهناك نوع من يرقات الخنافس تتغذى فقط على جذور كرمة العنب ، وهى حساسة لرائحة واحدة فقط ، هى رائحة ثانى أكسيد الكربون ، التى تطلقها جذور كرمة العنب . هذه اليرقة لا تشعر بأى رائحة أخرى ، لكنها تتعقب رائحة ثانى أكسيد الكربون بلا كلل ، فى أعماق الأرض ، حتى تصل إلى هدفها .

الروائح المميزة لكل كائن حى ، تحملها جزيئات تبارح الجسم فى شكل عرق ، أو أنفاس ، أو فضلات ، إلى آخر ذلك . ومع كل خطوة تخطوها ، تترك خلفك ملايين الجزيئات الموجودة فى العرق ، محددة خط سيرك ، من خلال الرائحة .

أما المخلوقات التى تمضى معظم وقتها محلقة فى الفضاء . فلا يمكنها أن ترسم خريطة الأرض عن طريق أثر الروائح .

ومع ذلك ، فالفراشات يمكنها ـ فى موسم التزاوج ـ أن تجذب الطرف الآخر الذى يبعد عدة كيلو مترات عن طريق الرائحة فقط . فأنثى الفراش ، تحمل عطرًا . مختزنًا ، لا يزيد وزنه على واحد فى المائة من الميليجرام (الميليجرام = واحدا على ألف من الجرام) ، وهى تطلق جزءًا صغيرًا جدًا من هذا العطر المخزون فى الهواء . هذه الرائحة التى تطلقها الفراشة الأنثى فى الهواء ، يمكن للذكر أن يرصدها ، وهو على بعد يزيد عن عشرة كيلو مترات .

الــــرادار الحــــى ..

ومثل هـذه القـدرة الملفتـة ، نجـدهـا فى نظـام رصـد الصدى الذى يستخدمه الخفاش فى الوصول إلى فريسته . أو فى تحاشى العقبات التى تكون فى طريقه أثناء طيرانه .

وعلى عكس الفكرة الشائعة ، فإن الخفاش ليس كفيفا تمامًا ، ومعظم الخفافيش ترى فى الضوء الخافت ، لكن فى حالـة الظلمة الدامسـة ، فإن الخفاش يعتمـد على إطلاق أصوات قصيرة ، حـادة ، عاليـة التردد ، بعضها يـدخل ضمن نطـاق قدرة السمع عنـد الأذن البشرية ، وبعضهـا الآخر لا نسمعه . وصدى هذه الأصوات ، عند ارتداده ، ينبئ الخفاش بالموقع الدقيق لأى عقبة .

بهذه الطريقـة ، يمكن للخفافيش أن تنـدفع فى فضاء محدود ، بأعداد كبيرة ، دون أن تصطـدم ببعضها . وحتى عنـدمـا تطير آلاف الخفـافيش خـارج الكهـوف ، فإنها تستجيب فقط لإشـارات الصدى الخاصـة بها ، ولا تخلط بينها وبين الضوضاء التى حولها .

وإذا تساءلنا : كيف يمكنها أن تتدبر أمر هذا التناغم، بهذه الدرجة من الدقة ؟ . . فإن الإجابة على هذا التساؤل لن تكون سهلة ، فما زال ذلك من الغوامض التى لم يصل العلم بعد إلى تفسير لها . لقد أجرى العلماء بعض التجارب ، التى حاولوا فيها اعتراض طريق الإشارات الرأدارية للخفاش ، بإغراقها فى أصوات ضوضاء ، أكثف من إشارات الخفاش ٢٠٠٠ مرة ، وعلى نفس التردد . لكن هذا لم يكن مجديًا ، فبطريقة ما ، تستطيع الخفافيش أن تلتقط صدى أصواتها الخاصة ، وتهمل الأصوات الغريبة .

سيقان بابا الطويلة

ومن أكثر نظم السمع غرابة فى الطبيعة ، هو ذلك النظام الذى تتمتع به ذبابة شائعة فى شمال أمريكا . يطلقون عليها اسمًا غريبًا هو « سيقان بابا الطويلة » وتسمى بالعربية « ذبابة النمس » .

آذان هذه الذبابات فى سيقانها ، وهى تستخدم هذه الآذان فى التنصت على الصوت الذى تصدره يرقة زنبور معين ، اسمه الزنبور قرنى الذيل ، عندما تقرض الخشب .

عندما تفقس يرقة هذه الذبابة ، تتغذى على الجسد الحى ليرقة ذلك الزنبور ، ولا تستطيع أن تعتمد فى طعامها على غير ذلك . وأنثى الذبابة تستطيع تحديد موقع يرقة الزنبور بدقة لا مزيد عليها ، معتمدة فى ذلك على حاسة الشم عندها ، وعلى السعى السريع أعلى وأسفل جذوع الأشجار ، متسمعة بخلايا السمع التى فى أقدامها . صوت اليرقة التى تمضغ طعامها داخل الجذع .

نظم حواس متعددة

والكثير من حواس الحيوانات يمكن تشغيلها أو إيقافها ، عن طريق نظام خاص من الإشارات فالنحلة ـ مثلا ـ تبدأ بان تنجذب إلى الزهور اعتمادا على الرائحة . وهى أيضا تستطيع أن تميز بين الزهور والأغصان بالتعرف

على شكلها ولونها . لكن ما إن تنتهى النحلة من الوصول إلى مــصدر طعامهـا ، حتى تنجـذب غـريزيـا إلى البقع السـواده التى فى خليـة النحل التـابعـة لها ، ولا يمكن أن يختلط عليهـا الأمـر بـالنسبة لأى شكل آخـر ، ولـو كـان شديد الشبه .

والنحل يكـون أيضًا شـديد الحسـاسية لـلأشعة فـوق البنفسجية ، التى لا يـراها الإنسـان ، والتى تمكن النحل من تحديد موقع الشمس ، حتى عندمـا تكون مختفية تمامًا خلف السحب الكثيفـة . وهـذا هــو مـا يسـاعـدهـا فى طيرانها . ومن نـــاحيـــة أخـــرى ، لا يتمتـع النحل بأى حسـاسية بـالنسبـة للجانـب الآخـر من الطيف اللــونى . فالنحلة ترى اللون الأحمر كبقعة سوداء فقط .

الحية ذات الجرس

أسرار مملكـة الحيوان تنكشف بـالتدريج ، عن طـريق الملاحظـة الصبورة ، وعن طـريق التجارب المتكـررة . وفى عام ١٩٥٢ ، اكتشف اثنـان من علماء الحيوان ، بجـامعة

كاليفورنيا ، أن الحية ذات الجرس ، تمتلك عينا ثـالثة .
ذلك لأنهما عندما قاما بتغطية عيني الثعبان ، وجدا أنه ما
زال قـادرًا على تحديد مـواقع الفئران ، بـدقة لا حـد لها .
وثبت بفضل هـذه الـدراسـة أن العضو المسئـول من هـذا
عبـارة عن نقرتين صغيرتين ، على جـانبي رأس الثعبـان .
بين فتحة الأنف والعين .

فى هذا الموقع اكتشفـا خلايـا حساسـة للحرارة ، تمكن
الثعبان ليس فقط من تحديد مـوقع الفـريسة رغم تغطيـة
العينين ، أو خـلال ظلمـة الليل ، لكنـه تمكن أيضًـا من
تحديـد حجم الفـريسة وشكلهـا ، اعتمادًا على الحرارة
الصادرة من جسمها .

الجمبرى التلفزيونى !

كما أظهرت التجارب أن الضفدعة تتمتع بحاسة إبصار
اقتصـاديـة وانتقـائية إلى أبعـد حـد ، بحيث لاتـرى ، إلا
الأجسام الضرورية لحياتها ، ذبـابة تزحف على بعد كبير ،
أو عدوا لها يقترب من موضعها .

ومن المعروف أن عيون معظم الكائنات الحية تصلها صور الأشياء فوق طبقة من الخلايا الحساسة يطلق عليها اسم الشبكية . وهذه الصور ، تنتقل إلى المخ ، حيث يتم تكوين صورة عقلية لذلك الشيء . لكن هناك مخلوقاً شبيها بالجمبرى ، يعيش فى خليج نابولى بإيطاليا ، تقوم عملية الإبصار عنده على أساس مختلف .

هذا الكائن له عدسة فى مقدمة الرأس ، ولكن بدون شبكية . خلف هذه العدسة توجد بقعة وحيدة حساسة للضوء ، تتحرك جيئة وذهابا ، مشكلة صورة الشيء كنظام من النقط ، أشبه بما يحدث فى جهاز الاستقبال التلفزيونى . الطريف أن « جهاز استقبال » هذه الصور عند ذلك الكائن الحى ، موجود عند وسطه !

قال «سَأراكُمَا».. وأوفَ بوعدِه

كانت ساندرا تعيش مع عائلتها ، فى مدينة صغيرة جنوب غرب مدينة بيتسبيرج ، فى ولاية بنسلفانيا الأمريكية . وكان شقيقها نيل ، البالغ من العمر اثنين وعشرين عامًا ، يعمل فى أحد البنوك منذ ثلاث سنوات .

كان نيل يردد كثيرًا ، ما يفيد شعوره القوى بأنه إذا ذهب إلى الخدمة العسكرية ، فإنه سيلقى حتفه نتيجة لهذا . حاولت كل من أمه وأخته ، اللتين كانتا تحبانه ، إقناعه بالانضمام إلى الحرس القومى لمدة ستة أشهر . وبالنسبة لعمره فى ذلك الوقت ، يكون من المحتمل تسريحه بعد ذلك ، وهكذا يتخلص من طول فترة الخدمة العسكرية .

اقتنع نيل بأن هذا هو أفضل ما يمكن أن يفعله ، فى ظل ظروفه الحالية . فاستقال من البنك ، وانضم إلى الحرس القومى ، ساعيًا إلى أن يقوم بخدمته خلال تلك الفترة على أحسن وجه .

وفى ابريل عام ١٩٦٣ ، تلقى أمرًا بتقديم نفسه إلى مقر التدريب الأساسى فى الجيش ، بعد أسبوع من يوم الاثنين التالى .

أثناء وجوده فى البيت ، وبعد تلقيه الأمر ، ردد أكثر من مرة ، أن عليه أن يرحل فى تمام الخامسة من صباح يوم الأحد . ظل يكرر هذا بلا مناسبة ، وكأنه حقيقة هامة وحاسمة .

فى يوم الاثنين السابق لرحيله إلى مقر التدريب الأساسى ، زار نيل أقرب أصدقائه لتوديعهم . وقبل خروجه من البيت ، قبل والدته قبلتها العادية على خدها . وقال بمرح « سأراكما » . . وخرج .

لكنه لم يعد بعد ذلك !

البحث عن رسالة ..

فى الصباح الباكر من اليوم التالى ، أخطرت العائلة بأنه وجد ميتا فى سيارته المركونة فى شارع ريفي مهجور ، على بعد ثلاثة كيلو مترات من البيت . لقد انتحر باستنشاق ثانى أكسيد الكربون .

وكانت صدمة شديدة للعائلة . .

فى البداية ، لم تصدق أمه أو أخته ذلك الخبر ، لأنهما كانتا متأكدتين من أنه لو كان ينوى أن يفعل شيئًا مثل هذا ، لكان قد ترك لهما رسالة أو إشارة . وهما ، رغم ما بذلتاه من جهد ، لم تعثرا على أى شىء من هذا القبيل . لقد بحثتا عن شىء ما فى كل مكان من البيت . كانت كل أمور نيل مرتبة . لم يترك ديونا أو أى نوع من الالتزامات خاص به ، لكنه أيضًا لم يترك أية رسالة من أى نوع ! . .

جرى دفن نيل فى مدافن المدينة . وحاولت العائلة أن تتأقلم مع هذه الفجيعة الكبيرة .

كانت شقيقته ساندرا أصغر منه بثلاث سنوات . لكنهما كانا شديدى القرب من بعضهما ، إلى حد أن

ساندرا ونيل نجحا فى تبادل الرسائل التخاطرية أكثر من مرة ، أى إرسال واستقبال الرسائل بدون واسطة ، وعن طريق العقل .

لم تفهم ساندرا السر فى أن شقيقها لم يبح لها بسره وبمشاكله قبل أن يقدم على الانتحار ، رغم الصلات القوية التى كانت بينهما .

ما بعد الجنازة

فى البيت ، كانت حجرة نوم ساندرا ، وحجرة نوم نيل ، فى الطابق العلوى . وبعد انتحار نيل ، لم تستطع ساندرا أن تنام على مقربة من حجرة شقيقها المتوفى . فلجأت إلى النوم على الأريكة التى فى غرفة المعيشة فى الطابق الأرضى .

كان يوم الجمعة ، هو اليوم المحدد لجنازة نيل . بدا ذلك اليوم بالنسبة لساندرا طويلاً طويلاً ، لا ينتهى . وبعد ليلة قلقة ، لم تعرف فيها عيناها النوم ، ظهر فجر يوم السبت .

طوال يوم السبت كانت ساندرا تشعر بالقلق يحوطها . . شعرت بجو من التوتر يشيع فى الهواء ، مما جعلها عاجزة عن احتمال المزيد من ذلك .

وعند ما حل المساء ، سألت ساندرا والدتها بأن تسمح لها بمشاركتها فى فراشها ، فرحبت الأم بذلك .

رغم الحالة التى كانت عليها الأم وابنتها ، فانهما لم تحاولا تناول أى نوع من الحبوب المهدئة أو المنومة . استلقت ساندرا إلى جوار أمها على الفراش ، وعادتا إلى مناقشة واقعة الانتحار ، من جميع الزوايا . ومن جديد فشلتا فى الوصول إلى أى استخلاص معقول . . وأخيرا . غلبهما النوم .

وخز التيار الكهربائى

فجأة . . استيقظت ساندرا من نومها العميق على صوت طرقعات .

كان الصوت مطابقا تمامًا لصوت شخص يطرقع أصابعه فوق رأسها . عندما أفاقت ساندرا تمامًا ، شعرت بأمها تتحرك بجانبها . وتسألها « هل سمعت هذا ياساندرا» ؟ . لقد سمعت الأم هي الأخرى صوت الطرقعات الغريبة .

الآن ، أصبحت الأم وابنتها في حالة يقظة تامة .

بعد ذلك ، شعرت كل منهما بإحساس وخز خفيف يسود الجسم من الرأس إلى أطراف القدم ، كما لو كانتا متصلتين بتيار كهربائي ضعيف . كانتا تشعران فعلاً بنوع من التيار الكهربائي يسري في بدنيهما ، وكانتا غير قادرتين على تحريك أي طرف من أطرافهما .

كانت غرفة المعيشة التي تنام فيها الأم ، في الجزء الأمامي من البيت . وكانت الستائر الثقيلة مسدلة ، فلم يكن ينفذ إلى الغرفة أي بصيص من الضوء . الضوء الوحيد ، كان يصل من الباب الذي خلفهما ، والذي يقود إلى البهو .

فجأة . . لاحظتا ضوءًا على يسارهما . كان الضوء ، عندما لاحظتاه لأول مرة ، أقرب إلى ضوء المصباح الكهربائى . وكان مستقرًا فى مكانه ، على بعد أقل من متر من الفراش ، فى جانب الأم . أخذ الضوء يسطع أكثر فأكثر ، وهو يقترب منهما .

أخذتا ترددان معًا « ما هذا ؟! » . ثم لاحظت ساندرا أن الضوء قد بدأ يتخذ شكلاً ، فتجسد داخله رأس وكتفان ، فشعرتا برعب شديد .

« إنه نيل ! » هكذا اندفعت ساندرا قائلة ، رغم أنها لم تعرف كيف خرجت الكلمات من فمها .

فى اللحظة التى نطقت فيها ساندرا اسم شقيقها المتوفى ، وصل الضوء إلى أقصى سطوع له . وعلى التو . ساد الأم وابنتها إحساس شامل بسلام وراحة كبيرة .

استجمعت الأم قدرتها على الحديث ، وإن كانت ماتزال غير قادرة على تحريك جسدها ، فقالت « ماذا

تريد؟ . . ولماذا فعلت ما فعلته ؟ » . ثم انخرطت الأم فى بكاء حار .

فى نفس هذه اللحظة ، ظهر وسط الضوء الساطع موجات من الضوء على شكل أصابع . . ثم تحركت هذه الأصابع . كما لو كان شخص يلوح بكفه إشارة الوداع .

بدأ الضوء يخفت بالتدريج ، حتى اختفى نهائيًا . .

صرير الدرجة الأخيرة

ما إن اختفى الضوء ، حتى اندفع عبر الغرفة تيار من الهواء البارد .

وبعد لحظة ، سمعتا بوضوح صوت صعود شخص على الدرج . كانتا وحدهما فى البيت ، لذلك عرفتا أن مصدر الصوت لا يمكن أن يكون إنسانًا من لحم ودم . وعندما وصلت خطوات الأقدام إلى قمة الدرج صدر من خشب الدرجة الأخيرة صوت الصرير ، الذى كان يصدر عنها دائمًا ، عندما كان نيل يطؤها بقدميه . على مدى

السنين ، كانت ساندرا تسمع ذلك الصرير المرة بعد الأخرى .

وسط الهدوء الشامل فى البيت ، لم يكن يسمع صدى صوت وقع الأقدام فى الدور العلوى .

كانت الأم وابنتها تستلقيان ساكنتين على الفراش ، غير قادرتين على الحركة ، حتى لو اعتزمتا ذلك .

استمر وقع الأقدام عبر الممر ، ثم انتقل إلى حجرة نيل ، التى كانت فوق حجرة المعيشة مباشرة ثم سمعتا صوت شخص يجلس على حافة السرير .

لقد ميزتا بوضوح صوت زنبرك السرير وهو ينضغط تحت ثقل الجالس عليه . .

كان السرير يكاد أن يكون فوق رأسيهما مباشرة ، فلم يكن من الممكن أن تتشككا فى طبيعة الصوت ، أو نوعه .

العلاقة ما زالت مستمرة

هنا فقط ، عاد جسداهما إلى حالتهما الطبيعية . .

انتهى التوتر ، فقفزت ساندرا من السرير وأضاءت نور الغرفة ، ونظرت إلى الساعة القريبة من الفراش . .

كان الوقت هو تمام الخامسة من صباح الأحد ! ! . .

نفس التوقيت الدقيق ، الذى كان نيل يخطط فيه لمغادرة البيت ، وفقًا لما ردده أكثر من مرة . دون سبب معقول . . ذلك لو لم يكن قد انتحر . .

عاد الهدوء ليخيم على البيت من جديد ، بعد كل ما جرى ، إلا أن التغيير الوحيد الذى حدث ، هو أن ساندرا ووالدتها لم تواصلا ما كانتا تشعران به من حزن على فقد نيل . لقد تقبلتا ما لا يمكن تغييره وبدأتا تعتقدان أن الحياة تتواصل فعلاً فى بعد آخر .

لقد شعرتا أن علاقاتها بنيل قد أعيد بناؤها . . كما شعرتا براحة خاصة عندما علمتا أنه بخير أيا كان المكان الذى هو فيه .

ومنذ زيارة الوداع الأساسية تلك ، ولأكثر من مرة . تشممت ساندرا ووالدتها فى البيت تلك الرائحة القوية لماء

الكولونيا النفاذ ، الذى كان نيل يستخدمه بعد الحلاقة .
كما وجدت زجاجة منه فى درج السيارة ، ساعة موت نيل .
حدث ذلك ، رغم أن أحدًا ممن كانوا يدخلون البيت ، لم
يكن يستخدم هذا النوع من كولونيا ما بعد الحلاقة .

كل هذه الأشياء الغريبة التى حدثت ، لم تسبب لدى
الأم وابنتها أى حالة هستيرية . لقد تقبلتا هذه الأشياء
باعتبارها طبيعية تمامًا ، رغم حرصهما فى كل مرة على
التأكد من أن الواقعة ليس لها أى تفسير منطقى .

بعد أن حدث ما حدث ، وقيل ما قيل ، عرفتا أن نيل
لم يتخل عنهما آخر الأمر . . وأن علاقتهما به ما زالت
مستمرة . .

شعاع الموت ... ينقذ الحياة !

الشعاع الذى اعتقد البشر يومًا أنه شعاع الموت الذى لايرى ، ثبت أنه يخدم الحياة ، ويوفر ما لا حصر له من الاستخدامات السلمية . . وبإمكانه أن يقيس المسافة بين الأرض والقمر ، فى حدود خطأ لا يتجاوز ١٥ سنتيمترا . وبإمكانه إحداث ثقوب فى قطعة من المعدن فى ظرف عدة ثوانٍ . كذلك من بين قدراته نقل صور التلفزيون ذات الأبعاد الثلاثة ، أو قص طبقات عديدة من النسيج لصناعة الملابس .

هذا الشعاع الغريب ، يمكن أن نستخدمه فى أكثر عمليات العين الجراحية دقة ، لترقيع ثقوب الشبكية ، أو لتحطيم الأورام . . وحتى فى استئصال اللوز .

ذلك هو شعاع « الليزر » . .

والحقيقة أن اسم الليزر هو اسم الجهاز الذى يطلق هذا الشعاع ، وليس اسم الشعاع . وقد اكتسب ذلك الجهاز اسمه من الحروف الأولى من عبارة اسمه العلمى ، الذى هو « جهاز تضخيم الضوء عن طريق الإطلاق المنشط للإشعاع » .

العديد من عمليات تطوير الليزر ـ فى الستينيات ـ كانت سرية ، لأن العلماء الذين عملوا فى مجال الدفاع العسكرى ، فكروا فى استخدام شعاع الليزر كسلاح حربى .

ولكن ـ من حسن الحظ ـ ثبت بعد ذلك أن كمية الطاقة اللازمة لإطلاق شعاع ليزر قوى ، تجعل من الصعب حاليًا استخدامه كأداة تخريب . واكتفى العسكريون باستخدام أشعة ليزر فى التصويب الدقيق للقذائف على أهدافها . . وكذلك فى تحديد مدى إطلاق المدافع . . إلا أن هذه الأشعة لا تكون مميتة فى حد ذاتها .

التقافز المحموم للجزيئات

جهاز الليزر ، هو جهاز ينشط ذرات المادة التى جرت تغذيته بها ، ليطلق إشعاعًا على شكل شعاع شديد الكثافة من الطاقة . . قد يكون على صورة ضوء ، وقد لايكون مرئيًا . وجميع الأشعة يكون لها نفس الطول الموجى . أو نفس اللون . الشعاع يتميز بأنه يبقى على نفس درجة تركيزه مع انطلاقه فى الهواء . وعند إطلاقه لمسافات طويلة يحتفظ بمساحة مقطعة ، دون أن ينتشر بشكل ملموس ، مع انطلاقه فى اتجاهه .

خطرت الفكرة أول ما خطرت ، على الأستاذ تشارلز تاونس ، من جامعة كاليفورنيا .

ففى عام ١٩٥٠ ، وجد أن بإمكانه أن ينشط جزيئات غاز النشادر عن طريق قذفها بموجات شديدة القصر ، ذات تردد محدد هو ٢٣,٨٩٠ ميجا سيكل فى الثانية . ولاحظ الأستاذ تاونس أن جزيئات غاز النشادر تقافزت بشدة ، إلى حد إطلاق قدر من الطاقة أكبر بكثير جدًا ، من ذلك القدر الذى استهلكته التجربة .

ميزر .. قبل ليزر

على الفور ، قام الأستاذ تاونس مع فريق البحث الذى معه ، ببناء جهاز أطلقوا عليه اسم « ميزر » ، وهو اسم مشتق من الحروف الأولى لكلمات « تضخيم الميكروويف عن طريق الإطلاق المنشط للاشعاع » .

كان ذلك الجهاز عبارة عن مضخم راديو شديد الحساسية ، وخال من التشويش أو التداخل ، من النوع المستخدم فى التليسكوب الراديوى ، وفى اتصالات الراديو الفضائية .

إلا أن جهاز « ميزر » هذا كان يعمل فى جانب واحد فقط من جانبى طيف الطاقة . فاتجه تاونس ، وغيره من العلماء بأفكارهم تجاه الجانب الآخر ، الذى يمكن أن يزيد من عرض تردد الضوء .

وهكذا ، فكر تاونس فى أنه إذا قذف ذرات قليلة من مادة ليجعلها تعطى ضوءاً ، قد يكون من الممكن توجيه هذه الطاقة إلى ذرات أخرى لجعلها هى أيضًا تعطى

ظهر فى سلسلة « أغرب من الخيال »

سر الأطباق الطائرة
النبات يحب ويتألم
الهرم وسر قواه الخفية
رجل يعرف كل الأسرار
٣٠ ظاهرة خارقة
لعنة الفراعنة
عجائب بلا تفسير
تفسير الأحلام والتنجيم
التخاطر والسحر واليوجا
الخروج من الجسد
أحلام اليوم حقائق الغد
عجائب العقل البشرى
هذا الغد العجيب
أسرار حيرت العلماء
معجزات العلاج
العالم سنة ٢٠٠٠

رقم الإيداع : ١٨٥٥/ ٩٥

الترقيم الدولى : I.S.B.N.977- 09 - 0268 - 3

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤

بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

معنى الأحلام

وغرائب أخرى

- كيف تسجل أحلامك ، وتفسرها ، وتستفيد منها .
- حلمت بتفاصيل مذبحة شارون تيت التى هزت أمريكا .
- أحلام التحذير من كارثة أو مأساة ، هل تصدق ؟
- هزيمة نابليون فى ووترلو .. والقطة السوداء التى حلم بها .
- الحلم الذى أخرج هتلر من الخندق ، وأنقذ حياته .
- روح الحقيقة التى زارت الفيلسوف ديكارت فى نومه.
- ابن سينا ، وحل المعضلات الرياضية بالنوم عليها .
- الثعبان الذى أكل ذيله ، كشف التركيب الكيميائى للبنزين .
- ستيفن [illegible] يحلم بفكرة «دكتور جيكل ومستر هايد».
- [illegible] حادث انهيار جبل الفحم فى ويلز.